شاعر الخبز الأُرزي من التنور الى الابداع: دراسة في حياته وشعره

poet Rice bread from enlightenment to creativity: a study of his life and poetry

م.م صفى خليل إبراهيم صالح الفراجي

Assistant teacher Safa Khalil Ibrahim Saleh Al-Faraji

الجامعة العراقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

Iraqi University/College of Education/Arabic Language Department

E-mail: Khalelsafa26@gmail.com

م.م وليد خالد شهاب المشهداني

Assistant teacher Waleed Khaled Shihab

الجامعة العراقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

Iraqi University/College of Education/Arabic Language Department

E-mail: Waleed.k.shihab@aliraqia.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الخبز الأرزي، العصر العباسي، أدب المهن

Keywords: rice bread, the Abbasid era, professional literature

الملخص

يعد الشـاعر الخبز الأرزي أحد شـعراء العصـر العباسـي الذين لم ينالوا حظاً من الدراسـة لذا يسـعى هذا البحث إلى تسـليط الضـوء على حياته البسـيطة المرتبطة ارتباطا وثيقا بمهنته في صـــناعة الخبز وموهبته على نقل تجربته اليومية، وما لها من أثر في تطوير نتاجه الشـــعري وقدرته في اثبات نفسه والانتقال إلى الإبداع.

Abstract

Cedar Bread is one of the poets of the Abbasid era who did not have the opportunity to study. Therefore, this research seeks to shed light on his simple life, which is closely linked to his profession in bread making and his talent for conveying his daily experience, and its impact on developing his poetic output and his ability to prove himself and move on to creativity.

المقدمة

يُعَدّ العصر العباسي من أكثر العصور ازدهارًا في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، لما شهده من تحولات سـياسـية واجتماعية واقتصـادية، انعكسـت آثارها بوضـوح في بنية المجتمع العربي وحياته الفكرية الثقافية. فبعد قيام الدولة العباســية واتســاع رقعتها، وتوطد دعائم الاســتقرار السـياسـي، الأمر الذي هيّأ بيئةً خصـبةً لازدهار العلم والمعرفة. وقد أصـبحت بغداد آنذاك مركزًا حضــاريًا بارزًا ومحط أنظار العلماء والتجار والصــنّاع وأصــحاب المهن، مما أســهم في تطور الحياة المهنية واتساع مجالاتها.

وقد صاحب هذا التطور ازدهار حركة الترجمة وظهور علوم جديدة نتيجة امتزاج الحضارة العربية بالحضــارات الأخرى، مما أثمر تنوعًا واضــحًا في المهن والوظائف. فبرزت مهن علمية وأدبية كالتدريس والترجمة والطب والكتابة، إلى جانب المهن الحرفية كالنجارة والحدادة والنسـيج وغيرها، إضافة إلى حرفة الوراقين والكتّاب وهو ما يعكس حيوية المجتمع العباسي وتعدّد اهتماماته.

وفي ظل هذا الاتســاع الحضــاري، برزت نماذج إنســانية اســتطاعت أن تتجاوز حدود بيئتها الاجتماعية والمهنية، ومن بينها نموذج الإنســان البســيط الذي لم ينل حظًا وافرًا من التعليم، ولم يخالط العلماء والأدباء، بل عاش حياة الكدح والعمل اليدوي بين الحطب والنار في صـناعة خبز الأرز، إلا أن موهبته الفطرية مكّنته من منافسـة كبار الشـعراء، ومن تحويل دكانه الصـغير إلى فضـاء أدبي عبّر فيه عن تجاربه الحياتية من خلال الشـعر في أغراض متعددة. ويتجلى ذلك في تجربة الشاعر النصر، الذي عكس في شعره ملامح بيئته المهنية والاجتماعية.

ومن ثمّ يُمثّل العصـر العباسـي مرحلة مفصـلية في مسـيرة الحضـارة الإسـلامية، لما شـهده من نهضـة علمية وأدبية وحضـارية شـاملة، انعكست آثارها في مختلف مجالات الحياة، وأسـهمت في تشكيل ملامح الفكر والثقافة العربية في تلك الحقبة.

المبحث الأول

شاعر الخبز الأُرزي- نشأته وحياته

هو النصر بن أحمد أحد شعراء البصرة في العصر العباسي. تشير الدراسات إلى أنه كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، لديه دكان في سوق المربد في البصـرة يصـنع فيه الخبز من طحين الأرز ومن هنا عُرف بلقب "الخبز الأُرزي"، وقد ذُكرت عدة آراء في لفظ الأرز فقد ضُـــبطت الكلمة بضـــمّ الهمزة، وســكون الباء، وفتح الزاي، مع بيان ما يتصـــل بها من حروف تُذكر في ســياق التعريف الصـوتي، الأمر الذي يدلّ على حرص الرواة واللغويين على إزالة اللبس، اختلفت العرب في لفظ كلمة «الأرز» وتعدد لغاتها حتى بلغت ست لغات، وهو ما يعكس ظاهرة التنوّع الصوتي في العربية، تبعًا لاختلاف البيئات واللهجات. فقد وردت على أوجه متعددة، منها مشـــدد الزاي مثل: أرُزّ،وأَرَزّ، ورُزّ ومنها مخفف الزاي مثل أُرْز،وأَرُز، رُزْن.(ابن خلكان، (ب،ت)،382)

وقد كان النصـر الأُرزي شـاعراً مطبوعا يجتمع الناس حوله لإنشـاده الشـعر أثناء عمله وأي شـعر ينشد حيث اشتهر بشعره الغزلي الرقيق الذي اتسم بالسهولة والبساطة لذلك شاع شعره بين العامة فتمكن الشـاعر من تحويل دكانه إلى مركزٍ أدبيٍّ، اشـتهر بفصـاحته وقيل إنه لم يلحن ولم يتهجى على الرغم من تعدد لهجات الوافدين إليه مما يدل على سلامة فطرته اللغوية.

يعد شعره قريبا من الشعر الشعبي وذلك يعود لبيئته البصرية، كان شعره يدور على لسان الصبية ويغنى على كل آلات الطرب وأشـار المسـعودي إلى أن كثيرا من الغناء المحدث في عصـره كان من شعره، وذا يدل على سعة شعره وانتشاره.

كان إنسـانا كادحا مكافحا محبا لعمله يعد شـعره من السـهل الممتنع الذي امتاز بصـدق العاطفة والمعاني ذا ديباجةٍ ســـلســـهٍ بســـيطةٍ التراكيب وكأن بعض شـــعره وليد الســـاعة أو قريب للارتجال.(ضيف،1995م،509)

وفاته:

لم تذكر المصـادر سنة ولادته ولا عمره الحقيقي على وجه الدقة، كما اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته فقيل إنه توفى سنة (317هـ) وقيل سنة (327هـ) وهذا الرأي غير صحيح لأن بعض الرواة سمعوا منه شعرا في سنة (325هـ)، وقيل توفى سنة (330هـ)

واختلفوا أيضــا في تحديد مكان وفاته، أفي بغداد أم في البصـرة ؟ مسـقط رأسـه فيذكر أن الوزير البريدي غرّقة بســبب هجائه له، وقيل هرب من البصـــرة إلى هجر والبحرين وتوفى هناك.(ابن خلكان،(ب،ت)،382، ضيف،1995م،512)

علاقته بالطبقة الحاكمة:

تعد علاقة النصـر بالحكام علاقة بسـيطةً جداً لأنه انشـغل بعمله كما ذكرنا إضـافة إلى أنه كان ينشد اشعاره في دُكانه فمن البديهي أن الخلفاء لا يأتون إلى هذه الأماكن البسيطة بل الشاعر هو الذي يتوجه إلى الخليفة مادحاً إياه. وقيل كان مدحه مقتصرا على فئة معينة من أجل كسب قوت يومه فقط ليس طمعا لنيل منصب او سلطة أو جاه.

كان كبار الشعراء يتوافدون إلى دكانه ليستمعوا إلى شعره، ومنهم الشاعر المشهور أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك* البصـــري فعلى الرغم من علو مكانته وقدره يأتي لدكانه ليســتمع شــعره فاهتم بأشــعاره وجمع ديوانه ومن اجمل ما روي ان ابن لنكك وأبي عبد الله وأبي الحسن خرجوا في العيد حتى وصلوا إلى أبو النصـر وكان يخبز على طابقه وكانت الناس تهنيه وهو يوقد السعف ويزيد تحت الطابق حتى زاد الدخان فنهضت الجماعة بسبب تزايد الدخان فسأل أبو النصــر ابن لنكك *ابن لَنكْك: بفتح اللام وسـكون الكاف ثم كافيين متواليين هو لفظ أعجمي مصــغر يعني أعيرج لإن معنى كلمة لنكْ هو الأعرج فمن عادة العجم إذا أرادوا تصــغير الاســم ألحقوا أخره كافا.

فقال له متى تزورنا فقال اذا اتسـخت ثيابي لان ثيابه كانت جديدة بيضـاء شـديدة البياض فخرج ثم كتب ابياتا يخاطب بها النصر قائلا:

لنصر فِي فُؤَادِي فرط حب ينيف بِهِ على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخورا من السعف المدخن بالتهاب
فَقُمْت مبادرا وحسبت نصرا يُرِيد بِذَاكَ طردي أَو ذهابي
فَقَالَ مَتى أَرَاك ابا حُسَيْن فَقلت لَهُ إِذا اتسخت ثِيَابِي

فلما سمع هذه الأبيات أجابه بأبيات تدل على حسن خُلقه وسرعة بديهته قائلاً:

منحت ابا الْحُسَيْن صميم ودي فداعبني بِأَلْفَاظٍ عِذَابِ
رأيتُ جلوسَه عندي كعرسٍ فجُدتُ لَهُ بتمسيك الثيابِ
وبغض للمشيب أعد عِنْدِي كُمَيْتاً لَونه لونُ الخضابِ
وإِنْ كان التقزز منه فخراً فَلِمْ يُكنْى الْوَصِيُّ أَبَا تُرَابِ

(ال ياسين،1989م، 111-112).

وذُكر إن بعض الأدباء كانوا يروون شـعره ويهتمون به، وسُـمع شـعره عن العلماء أمثال أحمد بن محمد الجندي وأحمد بن محمد العباس الأنباري والنوشري،والحسين بن خالويه والمعافى بن زكريا الجريري المتوفى سنه 390هـــ ثم بعد هذا التأريخ سكتت عن ذكره المصـادر حتى أصـبح أمره مجهولا. (الثعالبي،1983م، 428–429).

خصائص شعره:

يُعَدُّ شـاعر الخبز الأرزي من الشـعراء الذين اسـتمدّوا شـعرهم من الحياة اليومية، فكان قريبًا من عامة الناس، بعيدًا عن مظاهر التكلّف والتصـنّع. وقد اتسم شـعره بالبسـاطة والوضـوح، إذ انتمى إلى بيئةٍ شـعبيةٍ انعكسـت آثارها في أسـلوبه وتراكيبه، فجاءت ألفاظه عذبةً سـهلة، لا تُغرق في الغرابة ولا تميل إلى التعقيد.

كما إنّ ارتباطه بمهنته جعله يفاخر بها ويُبرزها في شـــعره، فغدت جزءًا من هويته الشـــعرية، ومصدرًا لإلهامه الفني. ومن ثمّ فإن شعره يمثّل نموذجًا للشعر الذي يتكئ على الواقع الاجتماعي، ويعبّر عن تجربة معيشـة صـادقة، تتسم بالعفوية والقرب من الذائقة العامة (ال ياسين،1989م، 95–96).

أسباب قلة شهرة النصر الأُرزي:

يمكن أن نذكر ضـعف شـهرة النصـر الأرزي، على الرغم من امتلاكه موهبة شعرية واضـحة، إلى عدة أسباب من أبرزها:

أولًا: انشـغاله بحرفته إذ كان يعمل خبازًا، الأمر الذي أبعده نسـبيًا عن الأوسـاط الثقافية الرسـمية ومجالس الأدب التي كانت تُسهم في صناعة الشهرة الأدبية.

ثانيًا: اقتصار شعره في بداياته على نطاقٍ ضيق، مما حال دون ذيوع اسمه بين طبقات المجتمع كافة، فلم يلق العناية التي حظي بها غيره من الشـعراء الذين ارتبطوا ببلاط الخلفاء والأمراء أمثال المتنبي والبحتري وأبو نواس وأبو العتاهية، وغيرهم كثير.

ثالثًا: عدم مشـاركته الفاعلة في المجالس الأدبية الكبرى، إذ اقتصـر حضـوره على بيئته، فلم تتح له فرصـــة الاحتكاك المباشـر بالعلماء والنقاد الذين كان لهم دورٌ مهم في ترسـيخ المكانة الأدبية للشعراء.

رابعًا: لوضـعه المعيشـي أثر كبير على شـهرته فقد كان كادحًا يسـعى إلى كسـب قوته اليومي، الأمر الذي جعل الإبداع عنده معتمدا على فطرته لا مشـروعًا أدبيًا منظّمًا يسـعى من خلاله إلى تحقيق شهرة واسعة. (ضيف،1989م،512).

وعلى الرغم من هذه العوامل، فإن موهبته الشـعرية مكّنته من أن يترك أثرًا ملحوظًا في بيئته، وأن يحظى بقبولٍ شعبي يعكس صدق تجربته وبساطة لغته.

الأغراض الشعرية في شعره:

النصـر الأرزي من الشـعراء الذين تنوعت أغراضـهم الشـعرية على الرغم من قلة ما وصـلنا من شـعره فلم يكن شـاعر غرضٍ واحد، بل تعددت موضـوعاته وفق ما تتيحه حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية. وقد شـــكّل الغزل أبرز مجالات إبداعه، في حين جاء المدح محدودًا، وغاب عنه الهجاء السـياسـي والصـراعات الكبرى على خلاف غيره من الشـعراء الذين أكثروا من الهجاء والخصـومات لاسـيما المتنبي وكذلك له أشـعار في المدح والإخوانيات وأكثرها عن ابن لنكك والمدح والفخر بالمهنة. (ال ياسين،1989م،509)

ومن ثمّ فإن تنوع أغراضـه يعكس شـاعرًا شـعبيًّا عبّر عن محيطه بصـدق وعفوية، وأسـهم ولو في نطاق محدود في إثراء المشهد الأدبي العباسي.

ملامح تجربته الشعرية:

يعد الخبز أرزي من الشعراء الأُميين كما ذكرنا آنفا لكن هذه الأمية لم تحد من قدرته الشعرية ولم تقيده او تكبل مهاراته بل أُميته كانت فن من فنون الابداع فهو شكل مهارة بارعة برزت في تاريخ الادب العباسـي فكيف لخباز يقضـي يومه امام التنور والطحين ان يكتب أبياتا شـعرية تلتزم بالأوزان والقوافي التي وضـعها الخليل بن احمد الفراهيدي وتتميز أبياته بالدقة التي مكنته من منافسـة كبار الشـعراء ودليل ذلك اقبال الناس اليه ليس لشراء الخبز فحسـب بل لسـماع اشـعاره والاستمتاع بها.

فالنصر الأرزي يمتلك أُذنا موسيقية بالفطرة فهو لم يتعلم علوم العروض او القوافي من الكتب بل امتلكها فطريا على خلاف غيره من الشـعراء الذين جالسـوا العلماء والادباء واكتسـبوا منهم العلم والمعرفة إضافة إلى ان النصر امتلك ايقاعا مميزا من خلال حركة يده اضافة الى ترقيق العجين وصـوت ضـرب الرقاق بالتنور فجميع هذه الاصـوات جعلت له ايقاعا داخليا أبرزه في أشـعاره فالشـعر عنده يشـبه العجن والخبز، إضـافة إلى اهمية البيئة البصـرية حيث كانت البصـرة تعج بحلقات الشعر وخاصة في سوق المربد حيث كانت الأداة التعليمية الأولى عنده هي سماع الشعر فأذنه كانت موسـيقية بامتياز وشـعره قريبا من العامة يخلو من جفاف القواعد مما اظهر شـاعراً متحررا على خلاف غيره فهو تمكن من أن يمتلك عفوية اللفظ بينما كان الشعراء

يبحثون عن الغريب والجديد والمميز فخطابه كان بلغته المباشـرة اللغة اليومية من دون أن يبالغ في اللفظ او يغرق في الخيال لذا جاءت قصـائده اشبه بالحديث اليومي، إضـافة إلى ان الشـاعر لم ينافس أقرانه أمثال امرؤ القيس او المتنبي او غيره من الشـعراء بل كانت الغاية من إنشـاده ليعبر عن حاله وحال قومه دون منافسـة أحد. فالخبز ارزي اثبت بان الشـعر عباره عن موهبه ويمكن ان تُخْلق في الانسـان منذ الصـغر وليس عبارة عن تحصـيلا دراسـيا ومما جعله محاط

انظار الادباء والوزراء فاغلب الادباء كانوا يوفدون اليه ويســـتمعون لأبياته الشـــعرية ويعجبون بها(آل ياســـين،1989م،92_93) فتجربة الأرزي تمثل نموذجا للشـــعر الذي يجمع بين الفطرة والسهولة والبساطة والتميز والإبداع.

المبحث الثاني

الصورة الفنية في شعر الخبز الأرزي

للصـــورة مكانة مهمة في نظم القصـــيدة فمن خلالها نســـتطيع التمييز بين الكلام العادي والكلام الموزون، وقد شـاع استعمال مصـطلح الصـورة عند الباحثين، واختلف الأدباء القدامى والمحدثين في تحديد معنى الصـــورة فعند القدامى تشـــمل التشـــبيه والاســـتعارة والكناية والمجاز لكن عند المحدثين اتسع استعمال هذا المصطلح فشمل الحقيقة أيضا والخيال.

فالصورة عند اللغويين هي هيئة الشيء وحقيقته (ابن مهران،(ب،ت)،160)

أما في الاصـطلاح هي من أهم الوسـائل التي من خلالها تظهر وتتجلى التجارب الشـعورية بما فيها من أفكار وأخيلة وأحاســـيس فبدونها لا يمكن أن نتعرف على تجارب الآخرين، وقيل إن الصـــورة هي التي تخلق الأفكار والمعاني المجردة حتى تظهر للآخرين حرة مســـتقلة لها هيئتها وشكلها الخاص(صبح،(ب،ت)،109_110)

والصـــورة عند الخبز الأرزي ليســـت عبارة عن جمالية اللفظ وزينته بل هي وســـيلة حية للحياة البصرية فاستطاع الارزي أن ينقل كل ما تراه عينيه إلى أبيات شعرية متماسكة كتماسك العجين ومتقنه كرغيف الخبز.

هذه العناصـــر اجتمعت كلها لتنتج لنا نصـــاً شـــعريا في غاية الجمال والروعة، وســـنتحدث عن عناصر الصورة عند الأرزي من خلال اختيار النماذج الشعرية وتحليلها.

اولاً: التشبيه:

التشبيه من أهم الفنون البلاغية فيضفي جمالا للنص إضافة إلى تقريب المعنى، والتشبيه هو عقد مماثلة بين شيئين او أكثر قصد اشتراكهما بصفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم.

وتمكن الخبز الأرزي أن يستمد تشبيهاته من بيئته اليومية فجاءت واضحة سلسة سهلة، ويتضح ذلك في قوله:

نسيم عبيرٍ في غلالة ماءِ وتمثال نور في أديم هواءِ

(آل ياسين،1989م،104)

اعتمد الشـاعر في هذا البيت على التشـبيه البليغ فاكتفى بذكر المشـبه والمشـبه به وحذف الأداة ووجه الشبه مما زاد البيت قوةً وجمالاً فشبه الممدوح بالنسيم المعطر الذي ينساب من الماء دلالة

على الرقة والعذوبة والنقاء، ثم ربط النور بالهواء وكأن الشخص كالتمثال في الهيبة والوقار ليثبت تلك الشفافية والصفاء وهذا يعكس قدرة الشاعر على توظيف المعاني وايصالها للسامع بصورة مؤثرة.

وقوله أيضا:

له مقلة مذ غبتَ لمْ تطعم الكرى وقلب على جمر الغضى يتقلبُ

(آل ياسين،1989م،105)

في هذا البيت تمكن الشاعر من استخدام التشبيه الضمني بأروع صورة فشبه حاله وقلبه المضطرب بسبب القلق والحزن الذي يعيشه بشخص يتقلب على الجمر ولا يثبت على حال لشدة حرارته، فحذف الأداة ولم يذكر طرفي التشبيه صراحة بل يلمحان من المعنى. واستخدام التشبيه الضمني في قوله أيضا:

فلا كانت الدنيا إذا كان عيشها ولذتها كالثوب يبلى ويُسلَبُ

(آل ياسين،1989م، 106)

تمكن الشاعر هنا من تصوير حال الدنيا وزوالها مستعيناً بالتشبيه المرسل المفصل ذاكرا فيه جميع أركان التشبيه. فالثوب في بادئ امره جديد لكن مع تقادم الزمن لابد له من أن يهترئ، فالشاعر أبدع في تصوير التدرج الزمني دلالة على أن الزوال لا يأتي دفعة واحدة بل مع مرور الزمن فالنعم لا تدوم والحال متبدل لا محال. وقوله أيضا:

وقريحة نوريَّةٌ لو جُسِّمتْ كانت لإفراط الذكاء شهابا

(آل ياسين،1989م،106)

الشاعر أبدع في وصف الذكاء مستعملا التشبيه البليغ الذي زاد من قيمة البيت فجعل القريحة او الذكاء كالشهاب المتوقد في لمعانه للدلالة على حده الذكاء.

وتكشف هذه الأبيات عن القريحة المتقدة لدى الشاعر التي مكنته من الارتقاء من مهنته البسيطة إلى مستوى فني مميز في الشعر وكأنه وصف نفسه وأجاد الوصف.

ويقول أيضا:

عَليَّ والله فيما شيعوا كذبوا ككذب أولاد يعقوبٍ على الذِّيبِ

(آل ياسين،1989م،110)

استعمل الشاعر التشبيه التمثيلي معتمدا على معنى القران الكريم وذلك في قوله:(ككذب أولاد يعقوب) ليثبت براءته مما نسب له، فشبه العاذلين بأولاد يعقوب حينما اتهموا الذئب بقتل النبي يوسف (عليه السلام) ليوضح شدة الافتراء.

وهذا البيت يدل على سعة وثقافة الشاعر الأمي الذي يقضي يومه بالخبز لكن ذلك لا يمنعه من البحث والاهتمام بالقصص الديني ومن هنا ينطلق الإبداع.

ويقول:

لقد ذُبتُ إذ أبدى إليَّ مضاحكاً كما ذاب شيطان تقض له شهبُ

إلى قوله:

وقد يخلص الاخوان من بعد عشرة كما تستهبُّ الخيل من بعدما تكبو

(آل ياسين،1989م،114)

في هذه الأبيات تتجلى موهبة الخبز الأرزي فقد شبه حاله وتعبه بالشيطان الذي يحترق ويذوب بعد رجمه بالشهب وتمكن هنا الشاعر من أن يجمع بين حركة الشهب وملاحقتها للشيطان وشده وقعها في النفس وما تتركه من رهبة. وهذا المعنى وهو الحرق والنار مقتبسة من بيئته ومن عمله وهو التنور المستعر.

وشبه الشاعر انقطاع المودة والوصال بالحبل المنقطع الذي يرمز للفراق والبعد واستعمل الشاعر هنا التشبيه التمثيلي ليوضح لنا الصورة.

واستخدم الشاعر التشبيه المرسل في قوله:

ولست أُحب الفضل من غير وجهه كما لا تُحَبُّ الشمس مطلعها الغربُ

(آل ياسين،1989م، 115)

الشاعر يشبه استحالة وجود الفضل مع غير أهله بالشمس التي يستحيل ظهورها من الغرب.

طريقة ربط المعنى وربط الصورة توضح مدى نباهة الشاعر ودقة ملاحظته.

ومن أجمل التشبيهات باستعمال التشبيه التمثيلي في قوله:

خدّاك تُفّاحي وريقُك راحي حسبي ويوم رضاك يوم فلاحي

يا من تعلقت القلوبُ بذكره كتعلُّق الأجسام بالأرواحِ

(آل ياسين،1989م، 120)

شبه الشاعر حمرة الخد واستدارته بالتفاح إضافة إلى تشبيه مدى تعلقه بمحبوبته بالروح الموصولة بالجسد.

حيث ربط الشاعر ارتباط الجسد والروح بالتنور وملازمته للحرارة فبدونها لا نفع منه.

والملاحظ إن الشاعر يميل في تشبيهاته إلى الأسلوب السهل الممتنع فتمكن من ربط احساسه الداخلي بالبيئة الخارجية ليصف لنا ما تجول به قريحته ويتضح ذلك في قوله:

لا تظهرنْ والشمس طالعة لا تدَّعيك لنفسها ولذا

(آل ياسين،1989م،122)

شبه الشاعر الموصوف بالشمس لشدة جماله واشراقه وكأنه تفوق بسطوعه على الشمس نفسها، والتشبيه هنا بليغ لأنه اكتفى بذكر المشبه والمشبه به. وفي نفس السياق قوله:

اشربْ على وجه الحبيـ ب سلافةً في لون خدِّه

(آل ياسين،1989م، 126)

التشبيه هنا ضمني حيث ذكر المشبه وهو الشراب والمشبه به وهو وجه الحبيب ليصف لنا اللون الاحمر بين لون الخد والمشروب دليل على النضارة والجمال.

وقال أيضا:

كملتْ صفاتك فيك حسن المشتري بين النجوم وفيك شكل عطاردِ

(آل ياسين،1989م، 127)

في هذا البيت شبه الشاعر الممدوح بصفات كونية وهي الكواكب دلالة على اكتمال صفات ممدوحه وعلو شأنه فاستخدم المشتري لكبر حجمه وشدة لمعانه فهو دلالة على الرفعة والسمو والتميز، ثم شبههُ أيضا بكوكب عطارد وهو المشهور عند القدامى بالذكاء وسرعة الحركة ليرمز للفطنة والدهاء.

فهذا الربط في التشبيه يعطي البيت قيمة جمالية وما يلفت النظر هو كيف لشاعر خباز تمكن من ان يصل لهذه المرتبة الهائلة في الوصف والذكاء.

هذه الأبيات التي ذكرها تدل على تمكن الشاعر من توظيف التشبيه في شعره وانتقاله من حدود المهنة البسيطة إلى فضاء شعري واسع فمن خلال التشبيه تمكن من أن يبرز لنا قدرته وبراعته إلى الارتقاء لمستوى شعري متميز.

ثانيا: الاستعارة:

لم يقتصر جهد الخبز الأرزي على التشبيه فقط بل تعداه للاستعارة فمن خلالها نقل المعنى من دلالة الحقيقية إلى دلالة مجازية تمنح النص جمالا ورونقا فنيا.

والاستعارة في اللغة هي تسمية الشيء بغير اسمه ،(ابن المعنز،1990م،99) . وفي الاصطلاح هي تشبيه بليغ حذف منه أحد طرفيه.(الرماني،1976م،86)

وسنتحدث عن الاستعارة في شعر الأرزي كاشفين عن أبرز صورها وأنماطها في قصائده مثال ذلك في قوله:

سقاني الهوى سمٌّ. الفراق فداوِني فعندك ترياق الوصال مُجرَّبُ

(آل ياسين،1989م، 105)

صـور الشـاعر ألم الفراق فشـبهه بالسـم وحذف المشـبه به وأبقى شـيئاً من لوازمه وهو السـقيا والاستعارة هنا مكنية. وتمكن الشاعر من ربط الوصال بالترياق وهو مادة تستعمل لمعادلة مفعول السم في الجسم للشفاء فالسم عنده هو الفراق والترياق يمثل الوصل واللقاء فنقل لنا بعدا عاطفيا برز من خلاله شده تعلق الشاعر بالمحبوب. ويقول أيضا:

طرحتَ لقلبي قِرْطم الأنس والمنى فأصبح في فَخِّ الهوى يتضرَّبُ

(آل ياسين،1989م، 105)

تتجلى موهبة الشاعر هنا في قدرته على تصوير حالته مستخدما الاستعارة المكنية فشبه نفسه بالطير الذي يغرى بأي طعم يرمى له فالشـــاعر هو الطائر والفخ هو الحب الذي قيده وجعله يضطرب ويتخبط.

وهذا البيت يمثل قدره الشـاعر على الابتكار اذ نقل لنا مشـهدا معتمدا على الرمز مما زاد النص رونقا.

ويقول:

إذا ما دعوتُ الصبرَ لبَّاني الهوى فشوقي يكسر واصطباري مذبذبُ

(آل ياسين،1989م، 105)

في هذا البيت أيضـا استخدم الشـاعر الاستعارة المكنية ليصـور لنا شـدة تحمله فجعل الصـبر والهوى كالإنسـان ينادي له فيسـتجيب فحذف الانسـان وأبقى شـيئا من لوازمه وهو تلبية النداء، فجعل الصبر والهوى كائنين حيين ليصور لنا الصراع الداخلي الذي يعيشه فالصبر نفسه تحول إلى معاناة للشاعر والحب يزاد بل التلاشي. وقوله أيضا فيما يخص الاستعارة المكنية:

فخلعتُ في خلع العذول تجملي ولبستُ ثوبَ السقم تحت ثيابي

(آل ياسين،1989م، 109)

الشاعر في هذا البيت يعلن استسلامه ويصور ما فعله الحب به فهو يقول: فخلعت خلع العذول أي لم يعد يبالي لكلام الناس ولومهم له فقرر أن يظهر لنا على حقيقته دون أن يخفي شـيء من مشاعره فأعذاره انتهت.

فصـور المرض بالثوب الذي يلبس لصـف لنا جسـده المنهك النحيل الذي كان يخفيه بالملابس فأصبح الضعف والتعب ملازما له. فالشاعر هنا يتحدث عن البساطة دون التكلف فدائما الشيء أجمل إذا كان حقيقيا دون تصنع، فالصدق أجمل وان كان كاشفا عن ضعف وانكسار. فالشاعر هنا شـــبه حاله بمهنته فيبدوا لنا التنور جميلا متماســـكا قويا لكن في داخله نار لاهبة فكلاهما يخفي الحقيقة فالظاهر خلاف الباطن. وقال أيضا:

ما لي بصدكِّ يا غزال المربدِ فقلد أطلتَ تحيُّلي وتلدُّدي

(آل ياسين،1989م، 124)

الاستعارة هنا تصريحية فالشاعر شبه محبوبته بالغزال فحذف المشبه وهو المحبوبة وذكر المشبه به وهو الغزال ليصف جمالها ورشاقتها وذكر صد وجفاء معشوقته له وما اصابه ذلك من حيرة وتخبط. تكشف هذه الأبيات عن قدرة الشاعر في التعبير عما تجول به قريحته بأسلوب عميق الدلالة بسيط وواضح.

ثالثا: الكناية:

تعد الكناية من الأساليب البلاغية التي تعتمد على الذكاء والخبرة فالمتحدث يذكر شيء ويريد شيء آخر مخفي لا يعرفه إلا الفطن وتعرف الكناية: بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له.(السبكي،2003م،14)

وتتجلى الكناية عند الأرزي في قوله:

له مقلة مذ غبتَ لم تطعم الكرى وقلب على جمر الغضى يتقلَّبُ

(آل ياسين،1989م، 105)

الكناية في قوله:(مقلة مذ غبت لم تطعم الكرى) كناية عن صفة وهي الأرق والسهر فيصف الشاعر عدم مقدرته على النوم مذ بعد محبوبته عنه. والكناية في قوله: (قلب على جمر الغضا يتقلب) أيضا كناية عن صفة الألم والحسرة والمعاناة، فجمع الشاعر بين كنايتين الأولى في العين والثانية في القلب ليصور لوعته.

ويقول أيضا: فبسطتَ للحاجات نفساً رحبة لو قُسِّمتُ خِططاً لَكُنَّ رِحابا

(آل ياسين،1989م، 101)

في البيت كناية عن صفة وهي الكرم والسخاء وسعة الصدر فوصف الممدوح بأنه أهلٌ لقضاء حوائج الناس دون تذمر أو ملل بل يفعل ذلك عن سعة صدر وطيب نفس. وقال أيضا:

فو اللهِ ما بي أن أموت بغصَّتي ولكنَّ بي أن يصطفيك حسودُ

(آل ياسين،1989م،124)

الكناية في قوله: أموت بغصتي وهي كناية عن صفة الحزن الشديد الذي لا يجد المرء مهربا منه.

وكذلك قوله:

نحن الشهود وحقق العود خاطبنا يزوِّج ابن سماءٍ بنتَ عنقودِ

(آل ياسين،1989م،124)

في هذا البيت يجمع الشـاعر بين كنايتين الأولى في قوله: (ابن سماء) كناية عن موصـوف وهو المطر، والثانية (بنت عنقود) كناية عن موصوف أيضا هو الخمر لأنه يعصر من عناقيد العنب. ابداع الشــاعر يظهر في قدرته على التشــخيص ودقة التصــوير فجمع بين الماء والخمر وكأنه يصـف لحظه سكب الماء على الخمر المركز، ويمكن ان نقول إن الشـاعر استمد هذا الوصـف من مهنته التي أساسها الخلط وسكب الماء الا وهي العجين. تمكن الشاعر من توليد معاني عدة اسدلت على شعره بعداً فنياً وجمالاً.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إبراز أهم النتائج التي تم التوصل إليها في النقاط الآتية:

1-يعد الخبز الأرزي نموذجاً للشـاعر العباسـي الشـعبي الذي تمكن من نقل تجربته الشـعرية بأسلوب واضح جلي وبعفوية صادقة.

2- أثبت الشاعر وبجدارة أن الموهبة بإمكانها أن تتفوق التعليم والثقافة.

3- استطاع الشاعر من توظيف التشبيه والاستعارة والكناية بأسلوب سهل ممتنع لا غرابة فيه ولا تكلف.

4- كشف الشواهد الشعرية عن قدرة الشاعر على ابتكار المعاني وتحويل المعاني المجردة إلى صور حسية وإضفاء الروح والحركة في الجماد.

5- لم يحض الخبز الأرزي بشـهرة تليق به لكنه مثل تجربة فنية فريدة من نوعها فنقل لنا صـورة العامل الكادح المنهك من عمله ومزجها بالشـاعر المبدع الذي لا يقيد طموحه شـيء مما سـاعد ذلك على تنوع المعاني لديه.

المصادر

1- ابن المعتز،عبد الله بن محمد،(1990م)، البديع في البديع، ط1، دار الجيل.
2- ضيف، شوقي،(195م)، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر.
3- آل ياسين، محمد حسن،(1989م)، ديوان الخبز الأرزي ، دط
4- صبح ،علي علي،(ب،ت)، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية.
5- السـبكي، أحمد بن علي، (2003م)،عروس الأفراح في شـرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
6- ابن مهران، الحسـن بن عبد الله،(ب،ت)، الفروق اللغوية، ،تحقيق: محمد إبراهيم سـليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر-القاهرة.
7- الرماني، علي بن عيســـى،(ب،ت)، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر.
8- ابن خلكان، أحمد بن محمد،(ب،ت)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحســـان عباس، دار صادر-بيروت .
9- الثعالبي،عبد الملك بن محمد،(1983م)، يتيمة الدهر في محاســن أهل العصـــر تحقيق: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية-بيروت _ لبنان.

References

1. Ibn al-Mu‘tazz, ‘Abd Allah ibn Muhammad (1990). *Al-Badi‘ fi al-Badi‘* (The Art of Rhetoric), 1st ed., Dar al-Jeel.
2. Dayf, Shawqi (1950). *Tarikh al-Adab al-‘Arabi* (History of Arabic Literature), Dar al-Ma‘arif, Egypt.
3. Al Yasin, Muhammad Hasan (1989). *Diwan al-Khubz al-Arzi* (Rice Bread Collection), n.p. (no publisher).
4. Subh, ‘Ali ‘Ali (n.d.). *Al-Surah al-Adabiyyah: Tarikh wa Naqd* (The Literary Image: History and Criticism), Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah.
5. Al-Subki, Ahmad ibn ‘Ali (n.d.). *‘Arus al-Afrah fi Sharh Talkhis al-Miftah*, ed. ‘Abd al-Hamid Hindawi, Al-Maktabah al-‘Asriyyah, Beirut.
6. Ibn Mihran, al-Hasan ibn ‘Abd Allah (n.d.). *Al-Furuq al-Lughawiyyah* (Linguistic Differences), ed. Muhammad Ibrahim Salim, Dar al-‘Ilm wa al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt.
7. Al-Rummani, ‘Ali ibn ‘Isa (n.d.). *Al-Nukat fi I‘jaz al-Qur’an* (Subtleties in the Inimitability of the Qur’an), ed. Muhammad Khalaf Allah, Dar al-Ma‘arif, Egypt.

8. Ibn Khallikan, Ahmad ibn Muhammad (n.d.). *Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman*, ed. Ihsan 'Abbas, Dar Sadir, Beirut.
9. Al-Tha'alibi, 'Abd al-Malik ibn Muhammad (1983). *Yatimat al-Dahr fi Mahasin Ahl al-'Asr*, ed. Mufid Qumayhah, 1st ed., Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.